البديعيات بين الجمال و الجلال
مقاربة في تجليات الجمال والجلال في البديعيات

El badiyyat between beauty and majesty

طالب دكتوراه/ تابتي عبد الباسط
أ. د/طول محمد

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان(الجزائر)
مخبر انتماء طالب الدكتوراه: مخبر الدراسات النقدية ، جامعة تلمسان
tabti.abdelbassit89@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/01 تاريخ القبول: 2021/05/12 تاريخ النشر: 2021/09/15

- **ملخص:**

تعدّ البديعيات من أجمل قصائد المديح النّبوي،استوقفت الأدباء ببلاغتها و النقّاد بأسلوبها و سحر بيانها،فجاءت هذه الدّراسة لتجيب على عدّة إشكاليات استوقفتني و أنا أتطوّف في رياض شعر البديعيات في أدبنا العربي و تميط اللّثام عن تراثنا العريق و تعرّف بلون شعري ظلّ مغمورا زمنا طويلا.هذه البديعيات جاءت مطرّزة بأحسن حلل البديع ، أجمل بيان و أشرف معنى، فيها حسن السّبك،روعة الأسلوب وجمال الصّورة،فاخترتها موضوعا لبحثي للكشف عن تجلّياتها الجمالية المودعة فيها ، بادئا بعوامل ظهورها و أهمّ أعلامها، كما عرّجت على الفرق بينها و بين المنظومات العلمية،لأصل إلى لبّ البحث و هو كيف زاوجت البديعيات بين الجمال و الجلال ؟ كيف تجلّى جمال اللّفظ و قدسية المعنى في قصائد البديعيات ؟

الكلمات المفتاحية: البديعيات؛المديح النّبوي ؛ النّبي محمّد؛الجمال؛ الجلال؛

Abstract:

El badiyyat of the most beautiful poems of praise of the Prophet, stopped writers in style and charm of her statement came this study to answer several problems struck me, I search in kindergarten Figures of speech poetry in Arabic literature and to reveal all the literary heritage,

ancient and know the color of my hair remained submerged for so long. These poems came embroidered with the best analyzed magnificent, beautiful statement and oversaw the meaning, in which Hassan foundries, splendor and beauty of style image, Taken by a subject of research exploration characteristics and revealed its manifestations aesthetic enshrined deposited with them, starting with the factors of its appearance and the most important flags, as I ran on the difference between them And among the scientific systems, to reach the core of the research and its misfortune, which is the manifestation of the beauty of the word and the sanctity of meaning.

key words: el badiyyat; prophetic praise; the prophet Muhammed; beauty; majesty;

. مقدمة:

المديح النّبوي غرض شعري قديم متجدّد،أرسى قواعده ثلّة من شعراء صدر الاسلام أمثال كعب بن زهير و حسّان بن ثابت و عبد الله بن رواحة - رضي الله عنهم - ليقتفي خطاهم بعد ذلك الأدباء احتفاء بمناقب الرّسول عليه الصّلاة و السّلام للتغنّي بشمائله و عبق سيرته الحافلة العطرة التي أذكت قرائح الشّعراء،فأطلقت ألسنتهم تلهج بالمدح و الثّناء عليه صلى الله عليه وسلّم فتنافسوا في المديح النّبوي تنافسا كبيرا،كان من نتاجه قصائد مدحية جديدة من مولديات،حجازيات،نعاليات و بديعيات.هذه الأخيرة جاءت مطرّزة بأحسن حلل البديع موشّاة بأجمل بيان و أشرف معنى،فما هي البديعيات؟ بم تتسّم من خصائص؟ كيف زاوجت القصيدة البديعية بين صورة الرّسول عليه أزكى صلاة و أطيب سلام و جمال اللّفظ؟

2.البديعيات التعريف و النشأة :

1.2تعريف القصيدة البديعية :

البديعية هي قصيدة تنتمي إلى غرض المديح النّبوي فهي أحد أنواعه " و هي قصيدة طويلة في مدح النّبي عليه الصّلاة و السّلام على بحر البسيط و روي الميم المكسورة،يتضمّن كلّ بيت من أبياتها نوعا من أنواع البديع "[1]فهي قصيدة موضوعها الأساس المديح النّبوي يقوم شكلها على توظيف المحسّنات البديعية حيث يذكر في كلّ بيت نوع من البديع قد يذكر بالاسم صراحة أو يشار إليه. فهي من حيث الموضوع لا تخرج عن كونها " قصائد في المديح يتوسّل صاحبها بحبّ المصطفى صلّى الله عليه و سلّم لنيل شفاعته يوم القيامة "[2] و طلب القربى في جنّات عدن.

من خلال التّعريف أستخلص أنّ قوام البديعية على أربع أسس أجملها فيما يلي:

- أن تكون القصيدة على بحر البسيط،رويّها الميم المكسورة.
- أن يشتمل كلّ بيت منها على نوع من أنواع البديع مثالا و ذكرا أو تورية له.
- أن تكون في غرض المديح النّبوي.
- أن تكون قصيدة طويلة.

فمن حيث الشّكل هي محكومة بإيقاع البحر البسيط و روي الميم المكسورة،أمّا من حيث المضمون فيشكّل كلّ بيت منها مثالا و شاهدا لمحسّن بديعي ، يولّف بينها غرض المديح النّبوي ،إذ " جميع أبياتها في المديح النّبوي و الشّوق إلى زيارة مقامه الكريم و ذكر سيرته المعطّرة بالمواقف الخالدة"[3] و الثّناء على شمائل الرّسول محمّد صلّى الله عليه و سلّم و تمجيد أيّامه. فاخترت من بين التّعاريف الكثيرة هذا التّعريف الجامع الدّقيق لأتطرّق بعدها لبداية نشأتها و أهمّ أعلامها.

2.2 نشأة البديعيات :

تعدّ بديعية صفي الدّين ،أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الحلّي (ت750) المسمّاة بـ(الكافية البديعية في المدائح النّبوية) أول بديعية مكتملة في تاريخ البديعيات ،قلت مكتملة أي مستوفية للشّروط،فقد وجد قبلها قصيدة لعلي بن عثمان الإربلي (ت :670 ه)نظمها وفق شكل البديعيات،فضمّن كلّ بيت منها محسّنا بديعيا،لكنّه قالها في مدح أحد أمراء عصره و لم يكن غرضها المديح النّبوي فخرجت كونها من البديعيات يقول عنها شوقي ضيف:" نجد علي بن عثمان الإربلي ينظم قصيدة في مديح بعض معاصريه مضمّنا كلّ بيت منها محسّنا من المحسّنات البديعية اقتصر على طائفة منها "[4]. و بغضّ النّظر عن الخلاف في أوليّتها و قصب السّبق في نظمها هل هو لصفي الدّين الحلّي(750ه) أو ابن جابر الأندلسي(780 ه) أو لعلي الإربلي (670ه) فقد بيّنت أنّ قصيدة هذا الأخير اهتمّت بتوظيف البديع و التّمثيل له و لكنّ موضوعها لم يكن في غرض المديح النّبوي.

وقد بسط الخلاف و استوفى الشّرح فيه علي أبو زيد في كتابه البديعيات ليس المقام هنا موضع بحثه[5]،إذ بعد تمحيص الخلاف و البحث نجد أنّ صفي الدّين الحلّي هو أقدم من نظم قصيدة بديعية مكتملة وفق الشّروط الأربعة التي سقتها آنفا،حيث يقول عنها شوقي ضيف: "نجد في القرن الثّامن الهجري صفي الدّين الحلّي ينظم قصيدة في مديح

الرّسول صلّى الله عليه و سلّم على غرار قصيدة البردة،امتدّت إلى مائة و خمسة و أربعين بيتا من بحر البسيط،وضمّن كلّ بيت فيها محسّنا من محسّنات البديع "[6].

وقد نظمها صفي الدّين على معارضة قصيدة البردة للبوصيري التي ذاع صيتها في الآفاق،فنتج عن هذه المعارضة قصائد البديعيات " فلقد سار كثير من شعراء العصر على أثر البردة،فاحتذاها و عارضها الشّعراء مثل صفي الدّين الحلّي و ابن جابر الأندلسي و ابن حجّة الحموي،لكنّهم نهجوا نهجا جديدا في مدائحهم إذ طرزوها بالبديع و أسموها بالبديعيات "[7]،من هنا يأتي اسم البديعيات و يعدّ الحلّي أول من سمّاها بهذا الاسم حيث سمّى قصيدته(الكافية البديعية في المدائح النّبوية)و سمّى شرحه عليها(النّتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية).

إذن كان من نتاج معارضة البردة ظهور هذه البديعيات المخصوصة بإيقاعها فانطلق الشّعراء يتنافسون في احتذاء البردة و السّير على سننها ممّا فتح الباب واسعا للتّجديد و الابتكار في غرض المديح النّبوي و "أثار الشّعراء بينهم ثائرة المنافسات الأدبية فكانت حافزا آخر من حوافز شاعريتهم "[8].

جدير بالذّكر أنّ البديعيات ظهرت في القرن الثّامن الهجري الذي كان بحقّ عصر اكتمال المنظومات العلمية في شتّى العلوم و بخاصّة منها النّحو،البلاغة،الفقه و السّيرة النّبوية فيبقى الارتباط وثيقا بينها و طبيعة العصر الذي احتضنها،وقد عدّها بعض النقّاد من قبيل المنظومات العلمية التي تهتمّ بعلوم البلاغة و تحديدا باب البديع فكلّ بيت منها شاهد لنوع من أنواع المحسّنات البديعية و كونها "صناعة فكرية أكثر منها صناعة أدبية إذ هي ضرب من شعر حقائق العلوم و الفنون ذلك لأنّ موضوعها يدور حول ذكر لونين من الحقائق،حقائق الأنواع البديعية و حقائق السّيرة النّبوية "[9] والذي يظهر أنّها قصائد أدبية لا تمتُّ للمنظومات العلمية بصلة و هذا راجع لأسباب ثلاثة هي:

1- المنظومات العلمية تخصّصت في باب واحد من العلوم،فنجد مثلا ألفية ابن مالك في النّحو و الأرجوزة الميئية لابن أبي العزّ الحنفي في السّيرة النّبوية،بينما البديعيات جمعت بين البديع و ذكر شمائل المصطفى عليه الصّلاة و السّلام.

2- البديعيات تكتنز العاطفة الجيّاشة الدّافقة و الإحساس المرهف تجاه المصطفى صلّى الله عليه وسلّم،لغتها منمّقة بوشي البديع مدبّجة بحلله،بينما نجد المنظومة

العلمية"تنحت من صميم الفكر و تمزج بقوانين العقل،وتصبّ في قالب القواعد،دون التّلون بعاطفة أو الاقتران بغرض من أغراض الشّعر المعروف"[10] فهي أدبية أكثر منها علمية،لا تنقل حقيقة علمية كسائر المنظومات و إنّما غرضها المديح بالتّغني و الثّناء لأجل القربى من الله و توسّلا بحبّ المصطفى لنيل شفاعته عليه الصّلاة و السّلام.

3- بحر الرّجز هو البحر الذي اعتمدته جلّ المنظومات العلمية لخفته و قصره،بينما نجد البديعيات يقوم إيقاعها الموسيقي على بحر البسيط، فخرجت بهذا كونها نظما علميا بلاغيا.

هذا و قد رصدت من كتب البلاغة و البديع أمّات البديعيات التي توقّف عندها النقّاد فاشتغلوا عليها،وجدتها ترجع إلى سبعة قصائد،أذكر أصحابها و مطالعها مرتّبة فيما يلي[11]:

1- عبد العزيز ابن سرايا بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العزّ الحلّي(750ه) بديعيته (الكافية البديعية في المدائح النّبوية) في مائة و خمسة و أربعين بيتا،مطلعها:

إن جِئْتَ سَلعاً فَسَلْ عَن جِيرةِ العَلَمِ واقْرَ السَّلامَ عَلى عُـرْبٍ بِذي سَلَمِ

2- شمس الدين بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي(780ه) بديعيته (الحلّة السيّرا في مدح خير الورى) في مائة و سبعة و عشرين بيتا،مطلعها:

بِطَيْبَةَ انْزِلْ ويَمِّمْ سَيِّدَ الأُمَمِ وانْثُرْ له المَدحَ وانْشُرْ أَطيبَ الكلِمِ

3- عزّ الدّين الموصلي (789ه)،بديعيته و شرحها(التّوصيل بالبديع إلى التوصّل بالشّفيع) جاءت في مائة و خمسة و أربعين بيتا،مطلعها:

بَراعةٌ تَستهِلُّ الدَّمْعَ في العَلَمِ عِبارةٌ عن نِدَاءِ المفرَدِ العَلَمِ

4- تقي الدّين أبي بكر علي بن محمّد ابن حجّة الحموي (837ه) و شرحها شرحا مطوّلا سمّاه (خزانة الأدب) جاءت في مائة و اثنين و أربعين بيتا،مطلعها:

لِي في ابْتِدَا مَدحِكُم يا عُرْبَ ذي سَلَمِ براعةٌ تَستهلُّ الدّمْعَ في العَلَمِ

5- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(911ه)،بديعيته (نظم البديع في مدح خير شفيع) مطلعها:

مِن العَقيقِ و مِن تِذكَارِ ذي سَلَمِ بَراعةُ العَيْنِ في استِهْلالِها بدَمِي

6- عائشة بنت يوسف بن أحمد بن خليفة الباعوني(922ه)حيث جاءت بديعيتها في مائة وثلاثين بيتاً،مطلعها :

في حُسْن مطلَعِ أقمَارِي بِذي سَلَمِ أصبحتُ في زُمرةِ العُشَّاقِ كالعَلَمِ

7- صدر الدّين بن معصوم الحسني المدني (1117ه) و بديعيته مع شرحه لها (أنوار الرّبيع في أنواع البديع) مطلعها :

حُسْنُ ابْتِدائِي بذكْرَى جِيرةِ الحَرَمِ له بَراعَةُ شَوْقٍ تستهِلُّ دَمِي.

3.البديعيات بين استحضار الجلال و الجمال:

1.3 البديعيات و الجلال :

يعدّ المديح النّبوي الغرض الأساس الذي تقوم عليه البديعية فغرضها الأسمى هو تجديد الصّلة بشفيع الأنام محمّد عليه الصّلاة و السّلام و الثّناء على صحّابته الكرام الذين سكنوا البقيع و أناخوا "بذي سلم"،وهي الأماكن المقدّسة التي تغنّى بها البديعيون "[12] فنجد الشّاعر يستحضر صورة النّبي محمّد عليه الصّلاة و السلام خِلقة و شمائلا،سمتا و دلّا على طول تمفصلات القصيدة ، يستهلّها " بمقدّمة يصوّر فيها شوقه لزيارة الأماكن المقدّسة و يمضي الشّاعر مباشرة إلى مديح النّبي عليه الصّلاة و السّلام،فيتحدّث عن شمائله،ويذكر فضله على سائر الأنبياء،ويتتبّع ما نسب إليه من معجزات و يتحدّث عن غزواته،ثمّ عن فضائل الصّحابة رضي الله عنهم لينهي القصيدة بالدّعاء"[13]، فيسير الشّاعر وفق هذه الخطّة الفنّية مستلهما عبق نفحات السّيرة العطرة ليتجلّى في أبيات قصيدته الجلال في صورة الرّسول المصطفى محمّد عليه الصّلاة و السّلام و يضفي مسحة قدسية تلامس الوجدان و تحرّك العاطفة بشاعرية مرهفة إذ المديح النّبوي "لون من التّعبير عن العواطف الدّينية و باب من الأدب الرّفيع لأنّها لا تصدر إلاّ عن قلوب مفعمة بالصّدق و الإخلاص"[14]،هذا ما تلمسه و أنت تقرأ أبيات البديعية فتستحضر مخيالها و تتحسّس دفقها الشّعوري،نمثّل لهذا ببعض الأبيات من البديعيات ، حيث وقفت على نموذجين للتّطبيق في صلب هذا البحث بديعية الحلّي باعتبارها أول بديعية و ابن جابر باعتبارها أجمل بديعية حسب رأي النقّاد ، يقول صفي الدّين الحلّي في بديعيته [15]:

أَبيتُ والدَّمْعُ هامٍ هملٌ سربٌ والجسمُ في أَضَمٍ لحمٌ على وَضَمِ

يصوّر الحلّي اشتياقه لزيارة قبر النّبي عليه الصّلاة و السّلام و ما يعانيه من أرق و دمع رقراق صبٍّ في سبيل لقاء حبيبه و نيل مرغوبه و قد هزل جسمه و نحف من شدة

الجوى،وكأنّي به يكتنفه ليل العاشقين الحالمين،فتستشّف صدق العاطفة و دفء الإحساس و جمال التّمثّل لمقام الشّوق في حضرة النّبي عليه الصّلاة و السّلام .

أمّا في مقام وصف كرمه و حلو شمائله عليه الصّلاة و السّلام يرتقي صفي الدّين الحلّي باللّغة العذبة الرّقيقة في استطراد للجناس و تتابع للسّجع فيقول[16]:

مُحَمَّدُ المُصْطَفَى الهَادِي النَّبِيّ أَجَـ ـلُّ المُرْسَلِينَ ابْنُ عَبْدِ الله ذي الكَرَمِ
سهلُ الخلائقِ سمحُ الكفِّ بَاسِطُها مُنـزَّهٌ لـفـظُـهُ عَنْ لَا ولَـن وَلَـمِ

لقد زاوج بين صورة النّبي محمّد الخلُقية من طيب محتده و شريف فعاله من كرمه و جوده و سخاء أعطياته و أفضليته على سائر الأنبياء عليهم السلام، فاستعان بالصّورة الكنائية لتجسيد كرم يده و حسن فعاله و طيب كلامه،فجمع الحسن معنى و لفظا في جودة الوصف لخلق النّبي محمّد عليه الصّلاة و السّلام ليرتقي إلى مستوى شعري حلّق فيه إلى آفاق من الفنّ و الشّاعرية لفتت جميع من يحبون الفنّ الرّفيع "[17].

أمّا في وصف جمال صورة الرّسول محمّد عليه الصّلاة و السّلام و بهاء طلعته و سطوع نوره يقول صفي الدّين الحلّي[18]:

كَـأَنَّ مَـرآهُ بَـــدْرٌ غَـيـرُ مُـسْـتَـتِـر طِـيبُ رِيَّـاهُ مِـسْكٌ غَـيـرُ مُكْتَتِمِ
كَمْ قَد جَلَتْ جُنحَ لَيْلِ النَّقْعِ طَلْعَتُهُ و الشُّهْبُ أَحْلَكُ أَلْوَانًا مِن الدُّهمِ

يعقد الشّاعر صورة تشبيهية بديعة في تمثّل نور النّبي محمّد عليه الصّلاة و السّلام الذي فاق نور البدر المكتمل المضيء في ظلام الليل الدّامس و قد غطّى على ضوء النجوم الزّاهرة فصارت غائرة في الظّلام ، نور حسّي في وجهه الشّريف و نور معنوي سطع بالحقّ المبين فبدّد ظلمات الجهل و الشّرك ، بهذه اللّفتة الرّاقية اللّطيفة من الشّاعر يضفي قداسة و جلالا لصورة المصطفى عليه الصّلاة و السّلام و قد تبدّى منوّرا بهيّ الطّلعة طيب المنظر سمتا و دلّا .

و لنتأمّل كيف صوّر ابن جابر في بديعيته بهاء المصطفى و نور وجهه الشّريف حيث يقول[19]:

تَـلُـوحُ تَـحـتَ رِدَاء النَّـقْـعِ غُـرَّتُـهُ كَـأَنَّ يُـوشَـعَ رَدَّ الشَّمْسَ في الظُّلَمِ

جمع الشّاعر في هذا البيت صورة تمثيلية مركّبة بين ظلمة اللّيل و ضوء الشّمس حين حبسها الله تعالى لفتى موسى عليه السّلام يوشع بن نون في معجزة خارقة ،ليخلص الشّاعر إلى وصف

جماليـة نـور النّبي محمّد عليـه الصّلاة و السّلام حسّا و معنى في معجزة بهرت الخلق بهذه الصّورة التي أجاد فيها الشّاعر ، نور تجلّى فكشف العماية و الغواية و أضاء الدّرب للسّالكين .

ثمّ بعده يصف ابن جابر جواه و لوعته و هو يتضوّع شوقا للنّبي المصطفى عليه الصّلاة و السّلام، فيقول[20]:

صبُّ الدُّمُوع كَأمْثَالِ العَقِيقِ عَلَى وَادِي العَقِيقِ اشْتِيَاقاً حَقَّ صَبِّهِم

صوّر الشّاعر مقام النّبوة الشّريف و ما له من حقوق لازمة واجبة على سائر النّاس كحقّ العاشقين من فرط تعلّقهم و هيامهم ، فتراه يريق الدّمع و يصبّه صبّاً فزاوج ابن جابر بين استحضار حقّ النّبي محمّد بفضله عليه الصّلاة و السّلام و حسن السّبك بمحسّن الجناس التّام بين(العقيق و العقيق)فالعقيق في صدر البيت هو نوع من الأحجار الكريمة مثل اللؤلؤ،أمّا العقيق في عجز البيت فالمراد به واد العقيق المعروف في أرض الحجاز كثيرا ما تغنّى به البديعيون في قصائدهم. فكان هذا الرّابط البديعي -الجناس- هو المشكّل لتلك العلاقة بين التّجانس لفظا و معنى" ففنون البديع فاعلة بدرجة أو بأخرى في حبك النّص"[21] فتتداخل الصّور و الأخيلة و تتمازج المحسّنات البديعية لتخرج لنا بيتا بديعيا قد تواءم فيه اللّفظ و المعنى و حمّله الشّاعر دفقا شعوريا نضبا لتحقيق الملاءمة بين الصّوت و المعنى [22] لتتشكّل الدّلالة و تلقي بسحرها في نفس القارئ و تنفذ إلى قلبه قوة و تأثيرا في المعنى.

يتضّح من خلال النّماذج التي سقتها أنّ الصّورة الشّعرية و استحضار مقام النّبوة خِلقة و شمائلا مع ما يصفه الشّاعر من شوقه و لوعته للنّبي محمّد عليه الصّلاة و السّلام تتلاءم مع الرّقة في الكلمات و جزالة الألفاظ و روعة التّراكيب،فهو نقل للمتلقّي من السّماع إلى الحسّ و الأشهاد و حسن التمثّل فيتصوّر المتلقّي عالم النّبي محمّد صلّى الله عليه و سلّم حسّا و كأنّه يعاينه واقعا ممّا يذكي المخيال و يستجلي الصّور و يستثير العاطفة الجيّاشة و يستجدي الحسّ المرهف،حقّا إنّ البديعيات قد زاوجت بين الجلال في المعاني و الجمال في الألفاظ.

2.3 البديعيات و الجمال :

البناء الذي تقوم عليه البديعية و تتشكّل وفق بنياته هو أسلوب بلاغي زاخر بلغة واصفة للبديع ملتبسة بالمحسّنات على تنوّعها كالطّباق و المقابلة و السّجع و الجناس،فهي تقوم على رعاية أسرار البلاغة و تقنيات الفصاحة و جمال الصّورة " ببراعة

تهدف إلى حسن التخلّص و حسن الختام،وهذا بالطّبع له تأثير على نفسية المتلقي "[23] من تحريك للمواجد و استثارة للإعجاب لتخرّج في أجمل حلّة و أروع سبك محقّقة بناء شعريا فريدا يكتنز أكثر من مائة نوع من المحسّنات البديعية.و حتّى نقف على هذه الجمالية في التّرف اللّغوي الذي وشى قصائد البديع و طرّز حلّتها،أقدّم بين يدي القارئ نماذج بديعية مع تحليل بعض أبياتها و الوقوف عند جماليتها.

يقول صفي الدّين الحلّي[24]:

أَغَـرُّ لَا يَمنَعُ الرَّاجِينَ مَا سَأَلُوا و يَمْنَعُ الجَـار مِـن ضَيْـمٍ و مِـن حَرَمِ

جمع الشّاعر في هذا البيت بين محسّنين بديعيين (الطّباق و السّجع) ليجلّي الصّورة و يوضّح معناها في وصف جناب النّبي محمّد المهاب الذي يحمي الجار و يغيث الملهوف و يعطي سؤل الرّاجين كرمه و نواله ، فتظهر جمالية اللّفظ حين وظّف طباق السّلب بين الفعلين (لا يمنع / يمنع) و كلاهما في مقام المدح و تشخيص الوصف ، ثمّ أردف السّجع (ضيم / حرم) لتشكّل جمالية متأرجحة بين اللّفظ و المعنى في حسن تمثّل لمقام النّبوة في الشّيم و الشّمائل و الخلق الرفيع البديع .

أمّا الجناس و تجلّي جمالية تناسق اللفظ و المعنى و حسن المواءمة بينهما فيوظّفه ابن جابر الأندلسي فيقول [25]:

سَلْ منهم صِلَة للصَّبِّ وَاصِلَة والتُمْ أَنَـامِـلَ أَقْـوامٍ أَنَـا بِهِـم

أورد الشّاعر هذا البيت في مقام استشهاده للجناس الناقص،وقد حقّق الجمال الإيقاعي دون كلف في تتابع الألفاظ التّالية(سل،صلة،الصبّ،واصلة) ليحدث جرسا موسيقيا رنّانا في أذن القارئ و السّامع على حدّ سواء،كما كان للتّجانس المعنوي حظّه في البيت و ذلك باستحضار المتلقّي في الفعلين (سلْ،التُم بمعنى قبّلْ)و نقله لمقابلة حضرة النّبي محمّد عليه الصّلاة و السّلام سائلا له عطية من كرمه و نوال يده ثمّ بتقبيل أنامل اليد الشّريفة البيضاء،إنّها صورة شعرية متحرّكة تستثير المخيال و تحرّك القلب مهابة بحضرة صورة المصطفى عليه الصّلاة و السّلام،صورة زاوجت بين الإيقاع اللفظي في جماله و التّجانس المعنوي في استحضار جلال صورة النّبي محمّد عليه الصلاة و السّلام "لتصبح الكلمات المتجانسة و المرتبّة ترتيبا خاصّا في الشّعر تشكّل قاعدة إيقاعية مهمّة في تصوير التّجربة الشّعرية أو المعنى الأعمق للشّعر "[26].هذا بعينه ما نقف عليه في هذا البيت الشّعري المفعم بالبديع و الدينامية في التّصوير ، لهذا اتّصّف ابن جابر في بديعيته بالمقدرة الشّعرية و الكفاءة اللغوية التي مكّنته من صهر معاني المديح

النّبوي بعد علمه بالسيرة النّبوية العطرة،استطاع أن يصهرها في القاعدة البلاغية التي تضبط التّمثيل لألوان البديع في قالب شعري ماتع رفيع ، من ذلك قوله[27]:

يَمِّمْ بِنَا البَحْرَ إنَّ الرَّكْبَ في ظَمَإٍ فَقُلْتُ سِيرُوا فَهَذَا البَحْرُ مِن أمَم

فجمع بين (يمّم و أمم) في تجانس لفظي بين الفعل ذو دلالة القصد و الاسم أمم و الذي يعني أنّه قريب كما جمع بين البحر الذي يشير إلى شدّة العطش و البحر الذي يشير إلى حرم المدينة و قبر الرّسول عليه الصّلاة و السّلام، في هذا البيت يقول شهاب الدّين الرّعيني: " ذكر ما جرى بينه و بين صحبه،و خطابه لهم و قد حسرهم الهجير فسألوه أن يقصد بهم البحر ليطفئوا ذلك الجمر،فأجابهم واعدا بموارد الكرم و أنّ البحر لا يحتاج إليه من قصد الحرم" [28] فاستحضر الشّاعر صورة الرّسول محمّد القريبة من قلبه قد استحوذت على وجدانه و ملكت جنانه ناسيا ظمأه الحسّي ليرتوي من محبّة الرّسول عليه الصّلاة و السّلام فيتجاوز بنا الإيقاع الصّوتي(التجانس اللفظي)إلى إيقاع المعاني في وجدان الشّاعر الذي تملّكه عطش الرّوح و ظمؤها لقربه من محبوبه في حرم المدينة المنوّرة بحضور النّبي حيّا و قبره ميْتا عليه الصّلاة و السّلام.

و في مقام عطفه و حنوه و رحمته بأمّته عليه الصّلاة و السّلام يوظّف ابن جابر الجناس الناقص في تراتبية بديعة جميلة فيقول[29]:

حَانٍ عَلَى كُلِّ جَانٍ حَابٍ إن قَصَدُوا حَامٍ شَفَى مِن شَقَا جَهْلٍ و مِن عَدَمِ

فانظر إلى الجناس في قوله (حان – جان – حاب – حام) كيف خدم المعنى بجميل لفظ و أشرف كلام في وصف شيم و صنائع المعروف من بذل و رفد عند الحبيب محمّد صلّى الله عليه و سلّم بهذه القريحة الشّعرية التي تنمّ على مكنة الشّاعر في المزاوجة بين جمال اللّفظ و شرف المعنى في تناغم يشعر بانقياد الألفاظ مع الوزن للشّاعر،على الرّغم من أنّه كان ينظم مع اشتراك المادّة العلمية(السيرة النّبوية)،فيشعر الإنسان بعاطفة تفرض نفسها على أحاسيسه موحية بمشاعر النّاظم الصّادقة "[30].

هذه النّماذج الشّعرية من البديعيات تنمّ عن المزاوجة بين جمال اللّفظ ممثّلا في ألوان البديع و محسّناته و بين جلال المعنى ممثّلاً في مديح النّبي و استحضار صورته و مقابلة الشّاعر له في موقف شعري رفيع و مهيب له سطوته على مجامع القلوب و مكامن النّفس إنّها مزاوجة سمت باللغة من مستواها المألوف إلى مستوى رامز مكثّف بالدلالات النّفسية

العميقة و الصّور المشهدية الرائعة زيّنتها المحسّنات البديعية و أضفى عليها المديح لمسة بيانية قدسية فحقّ لها أن توسم بالبديعيات.

4. خاتمة:

إنّ التّنقيب في البديعيات و ظروف نشأتها و أهمّ أعلامها و البحث في مزاوجتها المديح النّبوي بألوان البديع كشف لي عدّة نتائج أجملها فيما يلي :

*أولا :إن البديعيات تعدّ بمثابة وثائق بلاغية يجب علينا دراستها دراسة علمية ممنهجة،فهي تكشف لنا عن تطور البلاغة العربية.

*ثانيا: إن البديعيات تزخر بالجوانب البلاغية والنّقدية المهمّة التي يجب أن نعرّف بها وذلك بالوقوف عليها وتحليلها،ورصدها رصداً علمياً متأنّياً،

*ثالثا: أسهمت البديعيات في تقريب فهم البلاغة و حسن تطبيق ألوان البديع بأسلوب أدبي رائق و ماتع.

*رابعا : قد وفّقت البديعيات في المواءمة و المزاوجة بين جمال اللّفظ و جليل المعنى حين جمعت بين المديح النّبوي و ألوان البديع.

*خامسا : كانت قصيدة البردة للبوصيري منوالا يحتذي به الشّعراء و نتج عن معارضتها فنّ البديعيات.

*سادسا : استحضار صورة النبي محمّد عليه الصّلاة و السّلام و عبق سيرته أضفى مسحة قدسية و لمسة بيانية على شعر البديعيات.

*سابعا:ترسيخ أسس البديع و الاهتمام بألوانه و الاستشهاد لها في البلاغة العربية.

5. قائمة المصادر و المراجع:

1- بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد –علم البديع -، دار العلم للملايين، لبنان،ط5، 1999،ج3.

2- ابن جابر الأندلسي،الحلّة السّيرا في مدح خير الورى،تح: علي أبو زيد،عالم الكتب بيروت،ط1985،2.

3- جميل عبد المجيد،البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النّصية،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة د.ط،1998.

4- علي أبو زيد،البديعيات في الأدب العربي،عالم الكتب،بيروت،ط1983،1.

5- زكي مبارك،المدائح النّبوية في الأدب العربي،المكتبة العصرية،بيروت،ط1965،1.

6- شهاب الدّين الرّعيني ،طراز الحلّة وشفاء الغلّة،تح:رجاء الجوهري،مؤسّسة الثقافة الجامعية الإسكندرية مصر ،د.ط،1999.

7- شوقي ضيف، البلاغة تطور و تاريخ، دار المعارف، القاهرة،ط9 ،د.س .

8- صفي الدّين الحلّي،شرح الكافية البديعية،تح: نسيب نشاوي،دار صادر ،بيروت،،ط1992،2، ص54-55.
9- عبد القادر الرباعي،في تشكل الخطاب النقدي-مقاربات منهجية معاصرة-،منشورات الأهلية ،الأردن ،ط1، 1999.
10-لخضر عيكوس،جماليات البديعيات و خصائصها الفنّية ،مجلة آفاق الثّقافة و التّراث،الإمارات،مج6،ع22 1998.
11- محمد العمري ،الموازنة الصوتية في الرؤية البلاغية و الممارسة الشّعرية ،إفريقيا الشّرق ،المغرب، د.ط،2001.
12- محمد زغلول سلام،الأدب في العصر المملوكي،منشأة المعارف،د.ط،الإسكندرية،د.س.
13- محمود علي مكّي، المدائح النّبوية،الشّركة المصرية العالمية للنّشر ،مصر ، ط1، 1991.
14- محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك و نتاجه الأدبي و العلمي،مكتبة الآداب ،القاهرة ،ط1965،1.
15- يسرى عبد الغني عبد الله ،البديعيات فنّ بلاغي يحتاج إلى تأمّل،مجلّة علامات في النّقد،جدّة،مج17،ع 67، 2008 .

6-هوامش البحث

[1] :علي أبو زيد،البديعيات في الأدب العربي،عالم الكتب،بيروت،ط1،1983،ص46.
[2] :لخضر عيكوس،جماليات البديعيات و خصائصها الفنّية ،مجلة آفاق الثّقافة و التّراث،الإمارات،مج6،ع22 ،1998،ص80.
[3] :المرجع نفسه ، ص80.
[4] :شوقي ضيف،البلاغة تطور و تاريخ،دار المعارف ،القاهرة ،،ط9 ،د.س ،ص360.
[5] : ينظر :علي أبو زيد،البديعيات في الأدب العربي،ص56- 57.
[6] : شوقي ضيف،البلاغة تطور و تاريخ،ص360.
[7] : محمد زغلول سلام،الأدب في العصر المملوكي،منشأة المعارف،د.ط، الإسكندرية،د.س،ص328.
[8] :محمود رزق سليم،عصر سلاطين المماليك و نتاجه الأدبي و العلمي،مكتبة الآداب ،القاهرة ط1،1965،ص264.
[9] :المرجع نفسه ،ص177.
[10] :علي أبو زيد،البديعيات في الأدب العربي،ص49.
[11] :شوقي ضيف،البلاغة تطور و تاريخ،ص361- 365.
[12] :لخضر عيكوس،جماليات البديعيات و خصائصها الفنّية،ص86.
[13] :محمود علي مكّي،المدائح النّبوية ،الشّركة المصرية العالمية للنّشر ،مصر ، ط1، 1991،ص139.
[14] :زكي مبارك،المدائح النّبوية في الأدب العربي،المكتبة العصرية،بيروت،ط1،1965،ص26.
[15] :صفي الدّين الحلّي،شرح الكافية البديعية،تح: نسيب نشاوي،دار صادر ،بيروت،،ط2،1992، ص54-55.
[16] : المصدر نفسه،ص32.
[17] :بكري شيخ أمين،البلاغة العربية في ثوبها الجديد –علم البديع -،دار العلم للملايين ،لبنان ،ط5،1999،ج3،ص21.
[18] : صفي الدّين الحلّي،شرح الكافية البديعية، ص60.

[19] :ابن جابر الأندلسي،الحلّة السّيـرا في مدح خير الورى،تح: علي أبو زيد،عالم الكتب بيروت،ط2،1985،ص75.

[20]: شهاب الدّين الرّعيني ،طراز الحلّة وشفاء الغلّة،تح:رجاء الجوهري،مؤسّسة الثقافة الجامعية الإسكندرية مصر ،د.ط،1999،ص214.

[21] :جميل عبد المجيد،البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النّصية،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة د.ط،1998،ص141.

[22] :ينظر:محمد العمري ،الموازنة الصوتية في الرؤية البلاغية و الممارسة الشّعرية ،إفريقيا الشّرق ،المغرب، د.ط،2001،ص62.

[23]:يسرى عبد الغني عبد الله ،البديعيات فنّ بلاغي يحتاج إلى تأمّل،مجلّة علامات في النّقد،جدّة،مج17،ع 67، 2008 ،ص137.

[24] : صفي الدّين الحلّي،شرح الكافية البديعية، ص125.

[25] :شهاب الدّين الرّعيني،طراز الحلّة وشفاء الغلّة،ص142.

[26]:عبد القادر الرباعي،في تشكل الخطاب النقدي-مقاربات منهجية معاصرة-،منشورات الأهلية ،الأردن ،ط1، 1999،ص47.

[27] : شهاب الدّين الرّعيني،طراز الحلّة وشفاء الغلّة،ص252.

[28] : المصدر نفسه،ص258.

[29] : ابن جابر الأندلسي ، الحلّة السّيـرا في مدح خير الورى،ص31.

[30] : علي أبو زيد،البديعيات في الأدب العربي،ص74.